بقدوم حونيه الكاهن وساعده على ابتناء مثال لبيت المقدس في مصر، فبنى الهيكل المعروف ببيت حونيو في مدينة هيليوبوليس، وكثر عدد اليهود في الاسكندرية «حتى صارت تحتوي على أكثر من المليون منهم». وتكلموا جميعاً باللسان اليوناني، ودرسوا العلوم والفلسفة اليونانية، وألفوا كتباً باليونانية ـ ولا سيما في تفسير التوراة ـ وترجموا التوراة إلى اللسان اليوناني، وهي الترجمة المعروفة بالسبعينية (Septuagint).

واستمر الاسرائيليون في حكم ملوك سوريا إلى زمن أنطيوخس الرابع (١٦٨ ق. م.)، وجاروا في حكمهم لليهود وأجبروهم على استبدال عبادتهم بعبادة الاوثان، فثاروا عليهم بقيادة متاتيا بن يوحنان، وهو أبو المكابيين.

وانتصر المكابيون بقيادة متاتيا على انطيوخس، «وأخرجوا اليونانيين خارج الحدود اليهودية... وحكم اليهود حكماً شبيهاً بالمستقل لبقاء شيء من سيادة ملوك سوريا على فلسطين». وعرفت الدولة المكابية التي اسسها خلفاء متاتيا بأسم الدولة الحشمونائية.

واستمرت الدولة المكابية حتى سنة ٦٣ ق. م. أي مئة وخمسة أعوام «حدث في عهد ملوكها الاخيرين من الفتن وفساد الاخلاق ما سهل للرومان السبيل للتدخل في السياسة الاسرائيلية». وكان ذلك مقدمة لاستيلاء الرومان على الدولة المكابية، وتقسيمها إلى خمس ولايات «تابعة للجمهورية الرومانية».

وفي سنة ٣٧ ق. م. توج الرومان هيرودس ملكاً على القدس، وخلفه من بعده أرخلاوس ودام ملك الاخير سبعة اعوام. ثم عزله الرومان، «وانقرضت هذه المملكة وأصبحت في قبضة الولاة الرومانيين المقيمين في القدس أو في قيصارية وخراباتها لم تزل بالقرب من يافا».

وفي سنة ٦٤ ب. م. خرج اليهود على الرومان، فسيّرت روما اليهم القائد وسبسيانس (Vespasianus) وابنه تيطس (Titus)، وامتد عصيان اليهود ستة أعوام ذاقوا فيها أشد العذاب، وانتهت باخضاع وسبسيانس لأراضي الجليل. ثم عاد وسبسيانس إلى روما، وقاد ابنه تيطس الحرب من بعده ضد اورشليم. وانتهت تلك الحروب بفتح القدس وتخريبها سنة ٧٠ م. «أي في اليوم التاسع من شهر آب سنة ٣٨٢٨ للخليقة وهو تاريخ مشؤوم على الامة الاسرائيلية لأن خراب البيت الاول كان في نفس اليوم وكذلك خراب قلعة بتير كما سيجيء وهذا ما يسمونه في التاريخ بخراب الهيكل الثاني».

ولا يفوت المؤلف، هنا، أن يدون ان وسبسيانس كان قد أسر، فيمن أسر من اليهود، «يوسيفوس [Josephus] المؤرخ الشهير المعروف عند اليهود بيوسيفون بن جوريون وكان عالماً مؤرخاً فقربه الرومانيون اليهم وجعلوه مستشاراً لهم وحرر تاريخه المشهور... بلا تعصب ولا تشيع لقومه والتزم فيه الصدق وعدم التفرض فلم يرق تاريخه في عيون اليهود... وهو مترجم للعربية ومنشور في بيروت».

ويتابع المؤلف سرده، فيقول ان الاسرائيليين ما زالوا «يرجون احياء ملكهم القديم واعادة مجدهم الغابر ويترقبون الفرص فظهر ربي [Rebbe] عقيبة وأخذ في التدريس ونشر العلوم التلمودية والمدراجية... فصار رئيس الحزب الوطني الشهير والف من تلامذته جيشاً سلم قيادته لباركوخفا».

وخرج باركوخفا على الرومانيين، وكانت مدينة بتير الحصينة مركزاً لأعماله وحارب الرومانيين خمسة أعوام (١٣٠ م. ـ ١٣٥ م.)، فتغلب الرومانيون على الثائرين وقتلوهم عن بكرة ابيهم، وقتل معهم ربي عقيبة وباركوخفا.